أبدًا حسنها إلَّا بأن يعرف أهلها ، وحتى تتصل بمستحقها وبمعادنها واللائقين بها . وفى قطع ما بينها وبين عناصرها ومعانيها سقوط نصف الملحة ، وذهاب شطر النادرة . ولو أن رجلاً ألْزَقَ نادرة بأبى الحارث جمين ، والهيثم بن مطهر ، وبمزيد ، وابن أحمر[1] ثم كانت باردة لجرت على أحسن ما يكون . ولو ولد نادرة حارة فى نفسها مليحة فى معناها ، ثم أضافها إلى صالح بن حنين ، وإلى ابن النواء وإلى بعض البغضاء ، لعادت باردة ولصارت فاترة فإن الفاتر شر من البارد .

وكما أنك لو ولدت كلامًا فى الزهد وموعظة للناس ثم قلت : هذا من كلام بكر بن عبدالله المزنى ، وعامر بن عبد قيس العنبرى ، ومؤرق العجلى ، ويزيد الرقاشى[2] لتضاعف حسنه ، ولا حدث له ذلك النسب نضارة ورفعة لم تكن له ولو قلت : قالها أبو كعب الصوفى أو عبد المؤمن ، أو أبو النواس الشاعر أو حسين الخليع[3] لما كان لها إلَّا مالها فى نفسها ، وبالحرى أن تغلط فى مقدارها ، فتبخس من حقها .

وقد كتبنا لك أحاديث كثيرة مضافة إلى أربابها . وأحاديث كثيرة غير مضافة إلى أربابها ، إما بالخوف منهم ، وإما بالإكرام لهم ، ولولا أنك سألتنى هذا الكتاب لما تكلفته[4] ولما وضعت كلامى موضع الضيم والنقمة ، فإن كانت لائمة أو عجز فعليك ، وإن كان عذر فلى دونك .

## * رسالة سهل بن هارون[5]

أصلح الله أمركم ، وجمع شملكم ، وعلمكم الخير ، وجعلكم من أهله .

قال الأحنف بن قيس[6] : يا معشر بنى تميم ! لا تسرعوا إلى الفتنة ، فإن أسرع الناس إلى القتال ، أقلهم حياء من الفرار . وقد كانوا يقولون : إذا أردت أن ترى العيوب جمة فتأمل عيابًا : فإنه إنما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب . ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب . وقبيح أن تنهى عن مرشد[7] وتغرى بمشفق[8] .

وما أردنا بما قلنا إلَّا هدايتكم ، وتقويمكم وإلَّا إصلاح فسادكم وإبقاء النعمة عليكم ، ولئن

---

(١) الأربعة من أصحاب النوادر والفكاهة والمزاح .
(٢) الثلاثة من الزهاد .
(٣) الاربعة من المجان .
(٤) تكلفته أى ألفته على مشقه .
(٥) كتبها إلى محمد بن راهبون إلى بنى عمه من آل راهبون حين ذموا مذهبه فى البخل وتتبعوا كلامه فى الكتب أى التى يكتبها فى موضوع البخل ومدحه . ويمكن لنا اعتبار هذه الرسالة هى الفصل الأول من البخلاء .
(٦) اسمه الضحاك أو صخر . وكان يضرب به المثل فى الحلم والسيادة . وفد على عمر بن الخطاب فى وفد من قومه . وشهد صفين ومات معمرًا فى ٦٩ هـ .
(٧) عن مرشد أى عن اتباع مرشد .
(٨) أى تحرض الناس على المشفق الرحيم .

اخطأنا سبيل إرشادكم ، فما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم .

ثم قد تعلمون أنا ما أوصيناكم إلا بما قد اخترناه لانفسنا قبلكم ، وشهرنا فى الآفاق دونكم . فما كان أحقكم ـ فى تقديم حرمتنا بكم [1] ـ أن ترعوا حق قصدنا بذلك إليكم وتنبيهنا على ما أغفلنا من واجب حقكم ، فلا العذر المبسوط بلغتم ، ولا بواجب الحرمة قمتم . ولو كان ذكر العيوب برًا وفضلاً لرأينا فى أنفسنا عن ذلك شغلاً . وأن من أعظم الشقوة ، وأبعد من السعاة ، ألا يزال يتذكر زلل المعلمين ، ويتناسى سوء استماع المتعلمين ، ويستعظم غلط العاذلين ، ولا يحفل بتعمد المعذولين[2] .

عبتمونى بقولى لخادمى : أجيد عجنه خميرا ، كما أجدته فطيرا[3] ليكون أطيب لطعمه ، وأزيد فى ريعه[4] ، وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ورحمه لأهله : املكوا العجين ، فإنه أحد الريعين .

وعبتم علىّ قولى : من لم يتعرف مواقع السرف فى الموجود الرخيص ، لم يعرف مواقع الاقتصاد فى الممتنع الغالى . فلقد أتيت من ماء الوضوء بكلية يدل حجمها على مبلغ الكفاية ، وأسف[5] من الكفاية . فلما صرت إلى تفريق أجزائه على الأعضاء ، وإلى التوفير عليها من وظيفة الماء[6] وجدت فى الأعضاء فضلاً على الماء[7] ، فعلمت أن لو كنت مكنت الاقتصاد فى أوائله[8] ورغبت عن التهاون به فى ابتدائه ، لخرج آخره على كفاية أوله ، ولكان نصيب العضو الأول كنصيب الآخر . فعبتمونى بذلك وشنعتموه بجهدكم ، وقبحتموه . وقد قال الحسن عند ذكر السرف : إنه ليكون فى الماعونين الماء والكلأ ، فلم يرض بذكر الماء ، حتى أردفه بالكلأ[9]

وعبتمونى حين ختمت على سل[10] عظيم ، وفيه شىء ثمين من فاكهة نفيسة ، ومن رطبة غريبة . على عبد نهم ، وصبى جشع ، وأمة لكعاء ، وزوجة خرقاء[11] . وليس من أصل الأدب ، ولا فى ترتيب الحكم ، ولا فى عادات القادة ، ولا فى تدبير السادة أن يستوى فى نفيس المأكول ، وغريب المشروب وثمين الملبوس ، وخطير المركوب ، والناعم من كل فن واللباب من

---

(١) حرمتنا أى صلتنا بكم .
(٢) تعمد الملومين فعل النقائص .
(٣) الفطير ضد الخمير .
(٤) الريع : هو الزيادة والسخاء .
(٥) أشف : أزيد .
(٦) توفيتها حقها فى الغسل .
(٧) أى بق فى الأعضاء ما لم يعمه الماء .
(٨) أوائل الوضوء .
(٩) يعنى أن الحسن البصرى رضى الله عنه لن يرض بذكر الماء وحده فاضاف إليه الكلا وهو أقل قيمة .
(١٠) سلة عظيمة .
(١١) أى أنه ختم على سلة الفاكهة خشية أن يأكل منها عبد نهم . أو صبى جشع . او أمه لكعاء . أو زوجة خرقاء .

كل شكل ـ التابع والمتبوع ، والسيد والمسود ، كما لا تستوى مواضعهم فى المجلس ومواقع أسمائهم فى العنوانات وما يستقبلون به من التحيات . وكيف ، وهم لا يفقدون من ذلك ما يفقد القادر ، ولا يكترثون له اكتراث العارف ؟ من شاء أطعم كلبه الدجاج المسمن وأعلف حماره السمسم المقشر[1] .

فعتبتمونى بالختم وقد ختم بعض الأئمة على مزود سويق[2] ، وختم على كيس فارغ ، وقال : طينة خير من ظنة فأمسكتم عمن ختم على لا شىء ، وعبتم من ختم على شىء .

وعبتمونى حين قلت للغلام : إذا زدت فى المرق فزد فى الانضاج ، لتجمع بين التأدم[3] باللحم والمرق ، ولتجمع مع الارتفاق[4] بالمرق الطيب . وقد قال النبى ﷺ : « **إذا طبختم لحمًا فزيدوا فى الماء ، فإن لم يصب أحدكم لحمًا أصاب مرقًا** »[5] .

وعتبتمونى بخصف النعال[6] وبتصدير[7] القميص . وحين زعمت أن المخصوفة من النعل أبقى وأوطأ[8] وأوقى وأنقى للكبر وأشبه بالنسك ، وأن الترقيع من الحزم ، وأن الاجتماع مع الحفظ[9] ، وأن التفرق مع التضييع[10] وقد كان النبى ﷺ يخصف نعله ويرقع ثوبه ، ولقد لفقت[11] سعدى ابنة عوف ازار طلحة ، وهو جواد قريش ، وهو طلحة الفياض . وكان فى ثوب عمر رقاع آدم[12] . وقالوا لا جديد لمن لم يلبس الخلق[13] .

وبعث زياد رجلاً يرتاد له محدثًا[14] واشترط على الرائد أن يكون عاقلاً مسددًا ، فأتاه به موافقًا ، فقال : أكنت ذا معرفة به ؟ قال : لا ! ولا رأيته قبل ساعته ! قال : أفناقلته[15] الكلام ، وفاتحته الأمور ، قبل أن توصله إلىّ ؟ قال : لا ! قال : فلم اخترته على جميع من رأيته ؟ قال : يومنا يوم قائظ ، ولم أزل أتعرف عقول الناس بطعامهم ولباسهم فى مثل هذا اليوم ورأيت ثياب الناس جددا وثيابه لبسا[16] ، فظننت به الحزم . وقد علمنا أن الجديد فى غير

---

(١) أى أن لم تأخذوا بما أقوله لكم فافعلوا ما شئتم .
(٢) المزود هو ما يوضع فيه الزاد ، والسويق هو الدقيق الناعم .
(٣) التأدم بالشىء أى اتخاذه أدامًا والإدام ما يستمرأ به الخبز .
(٤) الارتفاق : يعنى الانتفاع به . والطيب : التلذذ : أى تجمع اللذة مع الانتفاع .
(٥) أخرجه أحمد ٣٧٧/٣ وصححه الألبانى بلفظ « إذا طبختم فأكثروا المرق فإنه أوسع وابلغ للجيران » .
(٦) خصف النعال بإصلاحها بالترقيع والخياطة .
(٧) أى يجعل بطانة لصدر قميصه .
(٨) أوطأ بمعنى ألين .
(٩) أى أن اجتماع المتفرق يكون مع حفظه .
(١٠) عكس الاجتماع مع الحفظ .
(١١) ضمت شقة إلى أخرى فخاطتها .
(١٢) جمع أديم وهو الجلد المدبوغ .
(١٣) أى الثوب البالى .
(١٤) ندبا .
(١٥) المناقلة هى مبادلة الحديث .
(١٦) جمع لبيس وهو الثوب الذى بلى من كثرة اللبس .

موضعه دون الخلق . وقد جعل الله عز وجل لك قدرا وبوأ[1] له موضعًا . كما جعل لكل دهر رجالاً ، ولك مقام مقالاً . وقد أحيا الله بالسم وأمات بالغذاء وأغص[2] بالماء ، وقتل بالدواء . فترقيع الثوب يجمع مع الاصلاح التواضع ، وخلاف ذلك يجمع مع الاسراف التكبر . وقد زعموا[3] أن الاصلاح أحد الكسبين كما زعموا أن قلة العيال أحد اليسارين . وقد جبر الاحنف يد عنز ، وأمر بذلك النعمان . وقال عمر : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة . وقال رجل لبعض السادة : أهدى إليك دجاجة ؟ قال : إن كان لابد فاجعلها بياضة ! وعد أبو الدرداء العُرَاق حُرّ البهيمة[4] .

وعبتموني حين قلت : لا يغترن أحد ـ بطول عمره وتقوس ظهره ، ورقة عظمه ، ووهن قوته ـ أن يرى أكرومته[5] ، ولا يجرحه[6] ذلك إلى اخراج ماله من يديه وتحويله إلى ملك غيره ، وإلى تحكيم السرف فيه ، وتسليط الشهوات عليه ، فلعله أن يكون معمرًا وهو لا يدرى . وممدودًا له فى السن وهو لا يشعر . ولعله أن يرزق الولد على اليأس أو يحدث عليه بعض مخبآت الدهور مما لا يخطر على البال ولا تدركه العقول ، فيسترده ممن لا يرده ويظهر الشكوى إلى من لا يرحمه ، أضعف ما كان عن الطلب[7] ، فعبتموني بذلك . وقال عمرو بن العاص : « أعمل لدنياك عمل من يعيش أبدًا ، وأعمل لآخرتك عمل من يموت غدًا » .

وعبتموني حين زعمت أن التبذير ـ إلى مال القمار ومال الميراث ، وإلى مال الالتقاط[8] وحباء[9] الملوك ـ أسرع ، وأن الحفظ إلى المال المكتسب ، والغنى المجتلب ، وإلى ما يعرض فيه لذهاب الدين واهتضام العرض[10] ونصب البدن واهتمام القلب ـ أسرع . وأن مَنْ لم يحسب ذهاب نفقته . لم يحسب دخله ، ومن لم يحسب الدخل ، فقد أضاع الأصل ، وأن مَنْ لم يعرف للغنى قدره فقد أذن بالفقر[11] وطاب نفسًا بالذل .

وزعمت أن كسب الحلال مضمن بالانفاق فى الحلال[12] ، وأن الخبيث ينزع[13] إلى الخبيث ، وأن الطيب يدعو إلى الطيب وأن الانفاق فى الهوى حجاب دون الحقوق[14] . فعبتم

---

(١) بوأ : بمعنى هيأ .
(٢) الغصة : ما يعترض الحلق من طعام أو شارب .
(٣) زعموا بمعنى قالوا ، والزعم أكثر ما يستعمل فيما كان باطلاً أو فيه ارتياب .
(٤) أبو الدرداء صحابى جليل اسمه عويمر بن مالك الخزرجى ، كان قبل إسلامه تاجرًا ، وكان زاهدًا شجاعًا ـ توفى فى الشام سنة ٣٢ هـ . والعُرَاق جمع عَرْق وهو العظام عليها القليل من اللحم ، والحرّ من كل شىء أحسنه .
(٥) أى يظهر كرمه والمعنى الإجمالى : لا ينبغى أن تدفع مظاهر الشيخوخة إلى إظهار الكرم بتحويل المال إلى الغير .
(٦) يلجئه ويدفعه .
(٧) وهو فى حال يكون فيها ضعيفًا عن طلب الرزق .
(٨) مال الالتقاط ما يلتقط من الأرض .
(٩) حباء : عطاء .
(١٠) إلحاق الأذى به .
(١١) علم ورضى به .
(١٢) يعنى أن كسب الحلال ملزم ان ينفق فى الحلال .
(١٣) ينزع بمعنى يميل .
(١٤) يعنى أن انفاق المال فى الأهواء الفاسدة يحجب عن أداء الحقوق .

علىّ هذا القول . وقد قال معاوية : لم أر تبذيرًا قط إلّا وإلى جانبه حق مضيع . وقد قال الحسن : إذا أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله . فانظروا فى أى شىء ينفقه ، فإن الخبيث ينفق فى السرف .

وقلت لكم بالشفقة منى عليكم ، وبحسن النظر لكم . وبحفظكم لآبائكم[1] ولما يجب فى جواركم[2] وفى مماكتكم[3] وملابستكم[4] : أنتم فى دار الآفات ، والجوائح[5] غير مأمونات فإن أحاطت بمال أحدكم آفة لم يرجع إلى بقية[6] فأحرزوا النعمة باختلاف الأمكنة[7] . فإن البلية لا تجرى فى الجميع إلا مع موت الجميع ، وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى العبد والأمة ، وفى ملك الشاة والبعير ، وفى الشىء الحقير اليسير : فرقوا بين المنايا[8] ، واجعلوا الرأس رأسين . وقال ابن سيرين لبعض البحريين[9] : كيف تصنعون بأموالكم ؟ قال : نفرقها فى السفن ، فإن عطب بعض سلم بعض ، ولولا أن السلامة أكثر لما حملنا خزائننا فى البحر . قال ابن سيرين : تحسبها خرقاء وهى صناع[10] .

وعبتمونى أن قلت لكم عند إشفاق عليكم : إن للغنى سكرًا ، وإن للمال لنزوة فمن لم يحفظ الغنى من سكر الغنى فقد أضاعه ، ومن لم يرتبط[11] المال بخوف الفقر فقد أهمله . فعبتمونى بذلك . وقال زيد بن جبلة[12] : ليس أحد أفقر من غنى آمن الفقر ، وسكر الغنى أشد من سكر الخمر . وقلتم : قد لزم الحث على الحقوق ، والتزهيد فى الفضول[13] حتى صار يستعمل ذلك فى أشعاره بعد رسالته ، وفى خطبه بعد سائر كلامه ، فمن ذلك قوله فى يحيى بن خالد :

عـــدو تلاد[14] المال فيما يـــنوبـــه
مـنوع إذا مـا مـنعه كـان أحـزمـا

---

(١) بما يجب من رعايتكم لحقوقهم وأموالهم .
(٢) مجاورتكم للناس .
(٣) مؤاكلتكم للناس .
(٤) مخالطتكم .
(٥) جمع جائحة أى التى تجتاح المال .
(٦) أى يذهب هذا المال ولا تبقى منه بقية .
(٧) أى ضعوها فى أحراز بأماكن مختلفة .
(٨) أى بين ما يدركه التلف .
(٩) البحارة .
(١٠) محمد بن سيرين . مفسر الأحلام الشهير واسمه أبو بكر محمد بن سيرين . وكان من أفاضل التابعين توفى سنة ١١٠ هـ ـ والمرأة الصناع هى الماهرة فيما تؤديه من عمل بيديها . والخرقاء ضدها ـ وهو مثل يضرب لمن تظن به الجهل وهو فطن يقظ .
(١١) يرتبط بمعنى يربط .
(١٢) زيد بن جبله من زعماء الوفود عند عمر بن الخطاب وكان فصيحًا بليغًا عرف بالحكمة وله كلام جميل بالبيان والتبيين للجاحظ .
(١٣) الفضول جمع فضل . وهو هنا ما زاد على الحاجات وضرورات العيش .
(١٤) التالد والتليد والتلاد كل مال قديم ـ وينوبه : ينزل به من المهمات والحوادث . أى أنه عند ذلك يعمد إلى ماله فيهلكه كأنه عدوه ومنوع أى كثير المنع لماله والضن به . وقوله إذا ما منعه ، أى إذا كان المنع والبخل أكيس وأعقل .

وعبتمونى حين زعمت أن أقدم المال على العلم ، لأن المال به يغاث العالم ، وبه تقوم النفوس قبل أن تعرف فضيلة العلم ، وأن الأصل أحق بالتفضيل من الفرع [1] وأنى قلت : إن كنا نستبين الأمور بالنفوس [2] ، فإنا بالكفاية [3] نستبين ، وبالخلة [4] نعمى [5] .

وقلتم : وكيف تقول هذا ، وقد قيل لرئيس الحكماء ومقدم الأدباء : العلماء أفضل أم الأغنياء؟ قال : العلماء ! قيل . فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء . أكثر مما يأتى الأغنياء أبواب العلماء؟ قال : لمعرفة العلماء بفضل الغنى ، ولجهل الأغنياء بفضل العلم !

فقلت : حالها هى القاضية بينهما . وكيف يستوى شىء ترى حاجة الجميع إليه ، وشىء يغنى بعضهم فيه عن بعض ؟

وعبتمونى حين قلت : إن فضل الغنى على الفقر إنما هو كفضل الآلة تكون فى الدار إن احتيج إليها استعملت وإن استغنى عنها كانت عدة [6] . وقد قال الحضين بن المنذر [7] : وددت أن لى مثل أحد ذهبًا لا أنتفع منه بشىء ! قيل : فما ينفعك من ذلك ؟ قال : لكثرة من يخدمنى عليه لأن لمال مخدوم . وقال أيضًا : عليك بطلب الغنى فلو لم يكن لك فيه إلا أنه أعز فى قلبك ، وذل فى قلب غيرك ، لكان الحظ فيه جسيمًا ، والنفع فيه عظيمًا .

ولسنا ندع سيرة الأنبياء ، وتعليم الخلفاء ، وتأديب الحكماء ، لأصحاب الأهواء . كان رسول الله ﷺ يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم ، والفقراء باتخاذ الدجاج : وقال : « **درهمك لمعاشك ، ودينك لمعادك** » . فقسموا الأمور كلها على الدين والدنيا ، ثم جعلوا أحد قسمى الجميع : الدرهم . وقال أبو بكر الصديق رحمة الله عليه ورضوانه : إنى لأبغض أهل البيت ينفقون رزق الأيام فى اليوم الواحد . وكانوا [8] يبغضون أهل البيت اللحمين [9] وكان هشام [10] يقول : ضع الدرهم على الدرهم يكونان مالاً . ونهى أبو الأسود الدؤلى ، وكان حكيمًا أديبًا وداهيًا أريبًا ، عن جودكم هذا المولد ، وعن كرمكم هذا المستحدث ، فقال لابنه : إذا بسط الله لك فى

(١) المراد بالأصل : المال ، وبالفرع العلم
(٢) أى نفهم الأمور مستعينين بالنفوس .
(٣) ما يكفى للعيش .
(٤) الحاجه .
(٥) نجهل : يعنى أن الإنسان ـ وإن كان يدرك بالنفس ـ يكون أقدر على التفهم
(٦) معدة للاستعمال .
(٧) اسمه أبو ساسان حصين بن المنذر وهو من التابعين .
(٨) الأنبياء والخلفاء والحكماء .
(٩) المكثرين من أكل اللحم .
(١٠) هشام بن عبد الملك بن مروان ، من ملوك الدولة الأموية فى الشام توفى ١٢٥ هـ ـ أما الأسود الدؤلى فهو ظالم بن عمرو . يجمع المؤرخون على أنه أول من وضع علم النحو بأمر من على بن أبى طالب . شهد صفين مع على . وولاه ابن عباس البصرة . ومات بها سنة ٦٩ هـ .
والمولد أى المستحدث .

الرزق فابسط ، وإذا قبض فاقبض ، ولا تجاود[1] الله فإن الله أجود منك . وتلقط أبو الدرداء حبات حنطة ، فنهاه بعض المسرفين ، فقال : ليهن ابن العبسية[2] ! إن من فقه المرء رفقه فى معيشته .

فلستم علىّ تردون ، ولا رأيى تفندون ، فقدموا النظر قبل العزم ، وتذكروا ما عليكم قبل أن تذكروا مالكم . والسلام[3] .

## * الكلام على أهل خراسان[4]

نبدأ بأهل خراسان ، لإكثار الناس فى أهل خراسان ، ونخص بذلك أهل مرو ، بقدر ما خصوا به .

قال أصحابنا : يقول المروزى[5] للزائر إذا أتاه ، وللجليس إذا طال جلوسه : تغديت اليوم ؟ فإن قال : نعم ! قال : لولا أنك تغديت لغديتك بغداء طيب ، وإن قال : لا ! قال : لو كنت تغديت لسقيتك خمسة أقداح ! فلا يصير فى يده على الوجهين قليل ولا كثير[6] .

## * ما وقع للجاحظ فى منزل ابن أبى كريمة

وكنت فى منزل ابن أبى كريمة ـ وأصله من رمو فرآنى أتوضأ من كوز خزف ، فقال : سبحان الله ! تتوضأ بالعذاب والبئر لك معرضة[7] ؟! قلت : ليس بعذب ، إنما هو من ماء البئر . قال : فتفسد علينا كوزنا بالملوحة ! فلم أدر كيف أتخلص منه !.

## * حديث ابن نهيوى

وحدثنى عمرو بن نهيوى قال : تغديت يومًا عند الكندى فدخل غليه رجل كان له جارًا ، وكان من أبخل خلق الله ـ قال : فاستحييت منه ، فقلت : سبحان الله ! لو دنوت فأصبت معنا مما نأكل ! قال : قد والله فعلت ! فقال الكندى : ما بعد الله شىء ! قال عمرو : فكتفه والله

---

(١) تجاود الله بمعنى لا تنافسه فى الجود .

(٢) ليهن : دعاء عليه بالهوان . والعبسية نسبة إلى قبيلة عبس . وأبوها عبس بن بغيض بن ريث ويقال أنها من أميرات البيان .

(٣) إلى هنا تنتهى هذه الرسالة . ويبدأ الجاحظ فى قصة جديدة من قصص البخلاء .

(٤) خراسان أقليم من بلاد فارس . وقد خصهم الناس بكثرة الحديث عن بخلهم ونوادرهم المشهورة فى البخل وبالذات عن أهل مرو الفارسية . وفى هذا الباب يحكى لنا الجاحظ قرابه الـ ٢١ نادرة وطرفة بين قصص وأحاديث

(٥) نسبة إلى مرو الفارسية . (٦) أى لا ينال شيئًا منه فى الحالين . (٧) ظاهرة .

كتفا[1] لا يستطيع معه قبضًا ولا بسطًا ، وتركه . ولو مد يده لكان كافرًا أو لكان قد جعل مع الله ـ جل ذكره ـ شيئًا . وليس هذا الحديث لأهل مرو ، ولكنه من شكل الحديث الأول .

## * حديث ثمامة :

وقال ثمامة[2] : لم أر الديك فى بلدة قط ، إلاغ يو لاقط يأخذ الحبة بمنقاره ، ثمخل ظننا قدام الدجاجة إلا ديكة مرو . فأنى رأيت ديكة مرو تسلب الدجاج ما فى مناقيرها من الحب ! قال فعلمت أن بخلهم شىء فى طبع البلاد ، وفى جواهر[3] الماء فمن ثم عم جميع حيواناتهم .

## * ابن رشيد :

فحدثت بهذا الحديث أحمد بن رشيد . فقال : كنت عند شيخ من أهل مرو ، وصبى له صغير يلعب بين يديه ، فقلت له ـ أما عابثًا أو ممتحنًا ـ : أطعمنى من خبزكم قال : لا تريده ، هو مر ! فقلت : فاسقنى من مائكم ؟ قال : لا تريده ، هو مالح ! قلت : هات لى من كذا وكذا ، قال : لا تريده ، هو إلىّ . فضحك أبوه وقال : ما ذنبنا ؟ هذا من عمله ما تسمع ؟ يعنى أن البخل طبع وفيهم وفى أعراقهم وطينتهم .

## * قصة الخراسانية :

وزعم أصحابنا : أن خراسانية[4] ترافقوا فى منزل ، وصبروا عن الارتفاق[5] بالمصباح ما أمكن الصبر ، ثم أنهم تناهدوا وتخارجوا[6] . وأبى واحد منهم أن يعينهم ، وأن يدخل فى الغرم معهم ، فكانوا إذا جاء المصباح شدوا عينيه بمنديل ، ولا يزال ولا يزالوان كذلك إلى أن يناموا ويطفئوا المصباح ، فإذا أطفأوه أطلقوا عينيه .

ورأيت أنا حَمَّارة[7] منهم ، زهاء خمسين رجلاً يتغدون على مباقل[8] بحضرة قرية الأعراب[9] فى طريق الكوفة ، وهم حجاج فلم أر من جميع الخمسين رجلين يأكلان معًا ، وهم فى ذلك يتقاربون ، يحدث بعضهم بعضا . وهذا الذى رأيته منهم من غريب ما يتفق للناس .

---

(١) كبله تكبيلا شديدًا .
(٢) هو ثمامة بن أشرس من زعماء فرقة المعتزلة توفى ٢١٣ هـ .
(٣) جوهر الشىء طبيعته واصل تكوينه .
(٤) جماعة خراسانية .
(٥) الارتفاق بمعنى الانتفاع .
(٦) تناهدوا وتخارجوا : اشتركوا فى ثمن زيت المصباح ، وتخارجوا مثله .
(٧) أصحاب حمير .
(٨) مباقل جمع مفردها مبقلة وهى ما يوضع عليها البقل .
(٩) مكان فى طريق الكوفة العراقية .

## * مويس بن عمران :

حدثنى مويس بن عمران قال : قال رجل لصاحبه ـ وكانا إمّا متزاملين وإما مترافقين ـ : لِمَ لا نتطاعم فإن يد الله مع الجماعة ؟ وفى الاجتماع البركة ، وما زالوا يقولون : طعام الأثنين يكفى الثلاث ، وطعام الثلاثة يكفى الأربعة ؟ فقال له صاحبه : لولا أنى أعلم أنك آكل منى لادخلت لك هذا الكلام فى باب النصيحة . فلما كان الغد ، وأعاد عليه القول ، قال له : يا عبد الله ! معك رغيف ، ومعى رغيف ، ولولا أنك تريد الشر ، ما كان حرصك على مؤاكلتى ! تريد الحديث والمئانسة ؟ اجعل الطبق واحدًا ويكون رغيف كل منه قدام صاحبه ، وما أشك إذا أكلت رغيفك ونصف رغيف يتجده مباركًا ! إنما كان ينبغى أن أكون أجده أنا ، لا أنت[1] .

## * خاقان بن صبيح :

وقال خاقان بن صبيح : دخلت على رجل من أهل خراسان ليلاً ، وإذا هو قد أتانا بمسرجة فيها فتيلة فى غاية الدقة ، وإذا هو قد ألقى فى دهن المسرجة شيئًا من ملح ، وقد علق على عمود المنارة عودًا بخيط[2] ، وقد حز فيه حتى صار فيه مكان للرباط فكان المصباح إذا كان ينطفىء أشخص[3] رأس الفتيلة بذلك ، قال : فقلت له : ما بال العود مربوطًا ؟ قال : هذا عود قد تشرب الدهن ، فإن ضاع ولم يحفظ احتجنا إلى واحد عطشان ، فإن كان هذا دابنا ودأبه ، ضاع من دهننا فى الشهر بقدر كفاية ليلة .

قال : فبينا أنا اتعجب فى نفسى ، وأسأل الله جل ذكره العافية والستر ، إذا دخل شيخ من أهل مرو ، فنظر إلى العود فقال : يا أبا فلان ! فررت من شىء ووقعت فى شبيه به ! أما تعلم أن الريح والشمس تأخذان من سائر الأشياء ؟ أو ليس قد كان البارحة عند إطفاء السراج أروى وهو عند إسراجك الليلة أعطش ؟ قد كنت أنا جاهلاً مثلك حتى وفقنى الله إلى ما هو أرشد ! أربط ـ عافاك الله ـ بدل العود إبرة أو ملسة صغيرة ، وعلى أن العود والخلال والقصبة ربما تعلقت بها الشعرة من قطن الفتيلة إذا سويناها بها ، فتشخص معها[4] ، وربما كان ذلك سببًا لانطفاء السراج ، والحديد أملس ، وهو مع ذلك غير نشاف[5]

---

(١) أى من مصلحتى ان اجد انا لا أنت رغيفى مباركًا بابتعادك عنه .
(٢) المنارة : ما توضع عليه المسرجة . وعمودها هو الذى تثبت عليه .
(٣) اشخص : رفع ، والمعنى أنه يرفع رأس الفتيلة بالعود المربوط بالخيط .
(٤) أى تخرج معها ، والفاعل يرجع إلى الفتيلة .
(٥) أى لا يمتص الزيت .

قال خاقان : فى تلك الليلة عرفت فضل أهل خراسان على سائر الناس ، وفضل أهل مرو على سائر أهل خراسان .

## * مثنى بن بشير :

قال مثنى بن بشير : دخل أبو عبد الله المروزى على شيخ من أهل خراسان ، وإذا هو قد استصبح فى مسرجة خزف[1] ، من هذه الخزفية الخضر ، فقال له الشيخ : لا يجىء ـ والله ـ منك أمر صالح أبدًا ، عاتبتك فى مسارج الحجارة ، فاعتبتنى[2] بالخزف ! أو ما علمت أن الخزف والحجارة يحسوان[3] الدهن حسوا ؟ قال : جعلت فداك ! دفعتها إلى صديق لىّ دهان فألقاها فى المصفاة شهرًا حتى رويت من الدهن ريا لا تحتاج معه أبدًا إلى شىء قال : ليس هذا أريد ، هذا دواؤه يسير ، وقد وقعت[4] عليه ، ولكن ما علمت أن موضع النار من المسرجة فى طرف الفتيلة لا ينفك من إحراق النار وتجفيفه ، وتنشيف ما فيه ، ومتى ابتل بالدهن وتسقاه ، عادت النار عليه ، فأكلته ، هذا دأبها ، فلو قست ما يتشرب ذلك المكان على الدهن ، بما يستمده طرف الفتيلة منه ، لعلمت أن ذلك أكثر . وبعد هذا فإن ذلك الموضع من الفتيلة والمسرجة لا يزال سائلاً جاريًا . ويقال إنك متى وضعت مسرجه فيها مصباح ، وأخرى لا مصباح فيها لم تلبث إلا ليلة أو ليلتين حتى ترى السفلى ملآنة دهنًا[5] . واعتبر أيضًا ذلك بالملح الذى يوضع تحت المسرجة والنخالة التى توضع هناك لتسويتها وتصويبها[6] ، وكيف تجدهما ينعصران دهنا . وهذا كله خسران وغبن ، لايتهاون به إلا أصحاب الفساد[7] . على أن المفسدين إنما يطعمون الناس ، ويسقون الناس ، وهم على حال يستخلفون شيئًا ، وإن كان روثًا[8] ، وأنت إنما تطعم النار وتسقى النار ، ومن أطعم النار جعله الله يوم القيامة طعامًا للنار ! قال الشيخ : فكيف أصنع جعلت المسرجة قال : تتخذ قنديلاً ، فإن الزجاج أحفظ من غيره ، والزجاج لا يعرف الرشح ولا النشف ، ولا يقبل الأوساخ التى لا تزول إلا بالدلك الشديد أو بإحراق النار . وأيهما كان فإنه يعيد المسرجة إلى العطش الأول . والزجاج أبقى على الماء والتراب من الذهب الإبريز ، وهو مع ذلك مصنوع ، والذهب مخلوق ، فإن فضله الذهب بالصلابة ،

---

(١) استضاء بها .
(٢) أزلت عتابى .
(٣) يشربان .
(٤) اهتديت .
(٥) يعنى أن المسرجة إذا وضعت فوق أخرى فارغه فإن فتيلة المسرجة العليا ، تسقط الزيت فى السفلى ، وبعد مدة تمتلىء .
(٦) أمالتها ليصل الدهن إلى طرف الفتيلة .
(٧) المسرفون .
(٨) أى تبقى منهم مخلفات أيًا كانت .